بريطانيا والأزمة البلقانية
(١٨٧٥ – ١٨٧٨م)

الباحث . يسري خميس حسن علي أبو غالي

*** ثورة البوسنة والهرسك ١٨٧٥م.**

كان نمو الوعي القومي بين شعوب البلقان؛ الذي كان سمة القرن التاسع عشر، عاملًا في دفع عملية الثورة ضد الحكم العثماني، هذا العامل الذي دفعته روسيا إلي الأمام بعد حرب القرم؛ لخدمة مصالحها وجعلته يتفوق علي العامل الديني [١] .

وقد شهد عام ١٨٧٤م تغيرًا في سياسة بريطانيا؛ بعودة حزب المحافظين إلي الحكم عام ١٨٧٤م، حيث تخلي المحافظون عن سياستهم التقليدية القائمة علي عدم اهتمام بريطانيا بمشكلات العالم المختلفة، وأصبح رئيس الوزراء البريطاني (بنيامين درزائيلي) مهتماً بتدعيم إستانبول ضد أعدائها، كما وجه دزرائيلي اهتمامه نحو مصر علي أساس أنها المركز الحقيقي لمصالح بريطانيا، وأن الحصول عليها هو أقل تعويض في حالة تقسيم الدولة العثمانية. وقد استطاع درزائيلي شراء أسهم مصر في قناة السويس، وحصل من بنك روقشيلد على الملايين الأربعة قيمة الصفقة، ووقع العقد في ٢٥ نوفمبر برغم أن البرلمان كان في أجازة [٢] .

اندلع التمرد في الهرسك نتيجة سوء المحصول عام ١٨٧٤م، فيما يري " ديفيد ماكينزي David Mackenzie " بأن الثورة كانت مجرد احتجاج عفوي من قبل التجار والفلاحين المسيحيين ضد النظام الضريبي والحكم القمعي[٣]. حيث يتفق همفري سمنر Humphery Sumner مع أرثر ايفانز Arthur Evans، مراسل الجارديان مانشستر في ذلك الوقت، علي أن التمرد كان في أصله زراعي لا سياسي، لكنه أضاف أنه أصبح سلاحًا في أيدي النمسا وروسيا والسلاف[٤].

فيما يركز جورج هوفر روبGearge Hoover Rupp علي العوامل الخارجية، ولا سيما المؤثرات والدعاية السلافية [٥] .

حقيقة فوجئت حكومة إستانبول بثورة ١٨٧٥م في البوسنة والهرسك؛ وكان دزرائيلي يتمني في ذلك الوقت أن تتمكن إستانبول بنفسها من إخمادها بدون دعم خارجي خصوصًا من الجارة الكبيرة، النمسا؛ التي تضم بين رعاياها كثيرًا من السلاف. وقد وافق بعد طول تردد أن ينضم إلي الوساطة التي قام بها قناصل الدول الكبرى في هذه المنطقة.[٦] وأعلنت الخارجية البريطانية في ١٢ أغسطس علي لسان سفيرها في إستانبول : " بأنه يجب علي العثمانيين الاعتماد علي إمكانياتهم الخاصة في مواجهة أحداث البوسنة والهرسك، وأنه يجب عليهم التعامل معها علي أنها شأن داخلي وألا يعطوه اهتمامًا دوليًا ". لقد كان واضحًا أن الحكومة البريطانية ترغب في تسوية الأزمة بأسرع ما يمكن [٧] .

كما بدأت الصحف اللندنية تأخذ موقفًا معاديًا من إستانبول وتنشر المقالات المطولة عن أزمة الهرسك؛ ففي ١٤ أغسطس نشرت التايمز Times مقالًا عن أحداث الهرسك، أبانت فيه ما أطلقت عليه " الوحشية الإسلامية" [٨] .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الثورة أحدثت صدمة في الأوساط البريطانية وأيقظتها من عزلتها؛ وجعلتها تدرك المخاطر التي تتعرض لها مصالحها نتيجة تكثيف روسيا من تدخلها المباشر في المسألة الشرقية، بالإضافة إلي ذلك؛ حدثت الثورة في وقت كانت الدولة العثمانية تعلن فيه إفلاسها ١٨٧٦م ، وتعاني أزمة سياسية داخلية [٩] .

وعندما رأت سان بطرسبورج في أول الأمر التدخل مع برلين وفينا معًا لإقناع الباب العالي بضرورة اتخاذ الإجراءات الحاسمة لإعادة الطمأنينة إلي المناطق الثائرة. رأت إنجلترا التدخل بقوة لمنع التفوق الروسي [١٠]. ولكن الفشل الذريع كان نصيب وساطة القناصل [١١]. وقد أدي فشل بعثة القناصل إلي تعاطف الصحف البريطانية مع الثوار خاصة صحيفة التايمزTimes[١٢]. والتي وجدت من وزير الخارجية البريطاني السابق، رسل Russell[١٣] نصيرًا لها [١٤]

*** مذكرة أندراسي Andrassy Note ٣٠ ديسمبر ١٨٧٥م.**

عاد العديد من رجال السياسة والصحف الأساسية ومنها ديلي تلغراف Daily Telegraph البريطانية للحديث مجددًا حول مستقبل الدولة العثمانية، هذه المسألة علي المستوي السياسي الأوروبي، وتطرقت هذه الكتابات والأقوال إلي مفهوم "العدل" داخل الدولة العثمانية وقضايا الأرمن والبلغار ومشكلات الأقليات العرقية والدينية الأخرى. وذلك في ظل وجود حزب المحافظين علي رأس الحكم في بريطانيا بزعامة دزرائيلي.(١٥)

ولقد عملت الدول الأوروبية لحصر الثورة في البوسنة والهرسك في أضيق نطاق، ودارت بشان ذلك مشاورات دبلوماسية بين ألمانيا والنمسا وروسيا والذين اتفقوا علي تحرير اللائحة المسماة بـ " مذكرة أندراسي Andrassy Note " نسبة إلي رئيس وزراء النمسا في ٣٠ ديسمبر ١٨٧٥م(١٦). وقد حثت هذه المذكرة علي إدخال إصلاحات وضع الحريات الدينية داخل ولايات الدولة العثمانية (١٧)

وكانت لندن تري أن محاولات أندراسي ومقترحاته للإصلاح؛ إنما هي مقترحات روسية، وأن روسيا والنمسا تعملان من أجل إلجام بريطانيا في المستقبل، والقيام بعمل مستقل ضد إستانبول بمنأى عن لندن، وأبدت لندن عدم الرغبة في القيام بضغوط علي إستانبول؛ للقبول بإصلاحات جبرية.

ويرجع البعض سبب هذا الموقف؛ إلي رغبة لندن في ضمان دعم المسلمين في الهند، وعدم إثارة المشكلات معهم ؛ بالإضافة إلي عدم محبة دزرائيلي للقيصر وروسيا. وبات واضحًا أن دزرائيلي غير مرحبٍ ألبتة بمذكرة أندراسي.(١٨) وبعث دزرائيلي ببرقية إلي دربي Derby في ٩ يناير ١٨٧٦م، أوضح فيها تردده فيما جاء في المذكرة(١٩) . إلا أن العديد من المصادر تذكر آراء غير ذلك، فتذكر أن دزرائيلي ودربي وافقا في نهاية الأمر ببرودٍ وحذرٍ علي هذه المذكرة (٢٠) .

*** ثانيًا: الفظائع البلغارية Bulgarian atrocities ١٨٧٦م.**

كان البلغار يشكلون طليعة أي هجوم روسي تجاه الدولة العثمانية، حيث أنهم لا يخالفون للقيصر أمرًا، وعلي أية حال فإن البلغار لم يكونوا أصدقاء

للروس فقط، بل أنهم أصبحوا محط أنظار الإنجليز أيضًا. ولقد اعترف السفير البريطاني في إستانبول " هنري إليوت " Henery Elliot، بأن القائمين علي الأعمال الثورية البلغارية قاموا بنشاط بين البلغاريين.(٢١) وقد بدأت المسألة البلغارية باجتماع قادة البلغار الوطنيين في ١٢ أغسطس ناقشوا القيام بثورة ، وطالب بعضهم بدعم روسيا وصربيا لهم في هذه المسألة. وفي شهري أبريل ومايو ١٨٧٦م؛ كانت جميع الإجراءات للقيام بثورة قد استكملت (٢٢) .

أرسل إليوت في ٧ مايو ١٨٧٦م برقية إلي حكومته جاء فيها: " أن حوالي ٥ آلاف جندي عثماني تم إرسالهم إلي إستانبول، واعتقد بأن هذه القوات ستكون قوات احتياطية تقمع الثورة ومنعها من أن تتحول إلي نهاية جدية" . وفي ١٩ مايو أرسل إليوت إلي حكومته ليعلن تذمره من الضعف واللامبالاة التي يبديها الباب العالي في معاملة رعاياه منذ أقدم العصور داخل الدولة العثمانية (٢٣) .

وبعد قيام الثورة البلغارية؛ طلبت روسيا وألمانيا والنمسا من بريطانيا التوقيع علي مذكرة شديدة اللهجة يتم تقديمها إلي الدولة العثمانية؛ يستنكرون فيها الأحداث ضد البلغار، لكن رئيس الوزراء البريطاني بنيامين دزرائيلي رفض ذلك، حيث لا يمكن لدولته القضاء علي دولة لها مصالح حقيقية في بقاءها، وأنه لا يمكن التعاون مع وزير خارجية روسيا، جورشاكوف، الذي يعده دزرائيلي العدو اللدود، وبسمارك الذي يعده صديقًا لا يمكن التعويل عليه (٢٤) .

وفي مجلس العموم المنعقدة ١ يوليه أعتبر دزرائيلي أخبار الفظائع مجرد " نكتة ".(٢٥) وفي مجلس اللوردات لم يعط دربي أي معلومات واضحة حول المظالم البلغارية (٢٦) .

في الوقت نفسه، بدأت الصحف البريطانية في شهري يونية ويولية ١٨٧٦م تثير الرأي العام في بريطانيا. حيث اتهمت الحكومة البريطانية الحكومة العثمانية بأنها أطلقت أيدي قواتها في بلغاريا، واتهمتها بارتكاب أبشع الأعمال. وكانت البداية عندما قدم كل من الصحفي " بيرز" Pears وماكجهان Macgahan في الفترة من يونية وأغسطس ١٨٧٦م تقارير في صحيفة الديلي نيوز The Daily News ؛ والتي جاءت كرد فعل للرأي العام البريطاني. وكذلك كتب

جلادستون[٢٧] في الجريدة نفسها في الأول من سبتمبر ١٨٧٦م قبل نشر كتيبه بعنوان " الفظائع البلغارية والمسألة في الشرق " بشأن الانتهاكات البلغارية [٢٨] .

وقامت جريدة " التايمز The Times " بدور حيوي؛ فقد وصل تقرير إلي اللورد دربي Derby[٢٩] في وزارة الخارجية في يونيه ١٨٧٦م ذكر فيه " أن التايمز أصبحت الوحي الملهم لحكومة صاحبة الجلالة".[٣٠] ولقد قامت " الديلي نيوز" The Daily News أيضًا بدور كبير في الحديث عن فداحة المظالم والخسائر البلغارية والإسهاب عن مدي " وحشية الأتراك" تجاههم حيث كتب الصحفي بيرز Pears مراسل صحيفة الديلي نيوز مقالًا بعنوان " الاغتيالات في إستانبول – فظائع المسلمين في بلغاريا " Assissiations at constantionople – Moslem The Atrocities in Bulgaria وتحدث بعنف عن هذه الأحداث [٣١] .

وفي الوقت الذي كانت فيه التايمز والديلي نيوز تشنان حملاتهما علي الدولة العثمانية، وقد كرست هذه الصحف مساحات أكبر للأحداث في بلغاريا.[٣٢] بل وهاجمت جريدة التايمز في العاشر من أغسطس ١٨٧٦م قول دزرائيلي بأن البلغار كانوا " يعانون من فظائع وهمية"، وهذا ما كان يتعارض كلية مع تقارير ماكجهان، وذكرت " أن ما يحدث من فظائع في بلغاريا ، إنما هو جزء من الثمن الذي لابد أن يدفعه دزرائيلي جراء مساندة المسلمين المتعصبين" [٣٣] .

وكانت حكومة بريطانيا قبل هذه المظالم؛ تلقي تأييدًا تامًا من قبل الرأي العام، وألزمت المعارضة الصمت، حتى قامت الديلي نيوز بما قامت به ، وذلك عندما تحدثت عن أطفال ذُبحوا ونساء أُغتصبن وفتيات تم بيعهن كالرقيق وعشرة آلاف مسيحي بلغاري أودعوا السجون، وكان جل ما ترمي إليه هذه الصحيفة هو القول للحكومة " هذا ما قام به أصدقاء وحلفاء رئيس الوزراء البريطاني " [٣٤] .

لقد أحدثت التايمز هجومًا عنيفًا على حكومة دزرائيلي ، تزامن ذلك مع الهجوم الليبرالي . ودار نقاش وجدال في البرلمان الإنجليزي من جانب أعضاء البرلمان الليبرالي بأن " الحكومة والدولة تعتمدان فقط وبشكل كبير على مراسلي الصحف لمعرفة الأخبار" . ونفى دزرائيلي هذه الاتهامات بشدة وقد نشرت التايمز مقالًا مطولًا ؛ حول اجتماعات علنية " تدين الاعتداءات " [٣٥] .

ومهما يكن من أمر ، فقد أصيب الرأي العام في بريطانيا بصدمة ، وفي فرنسا وإيطاليا أصيب الناس برعب أقل ، أما في روسيا فقد أثارت هذه المذابح "فيهم موجة من الروح الصليبية" التي جعلت القيصر يستعد للحرب . وعلى العموم ؛ أثارت هذه المظالم البلغارية سخطًا ونقمةً في عموم أوروبا (٣٦) .

وفي ١٨ أغسطس كان معروفًا بأن أوروبا لم تشهد أوقات عصيبة مثل هذه منذ فترة " جنكيزخان" . وكان هناك رضا من قبل التايمز إزاء بعض ردود الأفعال من قبل الدولة العثمانية ؛ فمن أجل تجنب المزيد من المجازر ، منعت القوات غير النظامية من دخول المدن الصربية المختلفة (٣٧) .

وفي الفترة ما بين يونيو وسبتمبر ، عقدت المئات من الاجتماعات تنديدًا بالمجازر البلغارية (٣٨) . ولم يكن الرأي العام البريطاني يشعر بالهدوء، بسبب تحفظ الحكومة تجاه هذه الفظائع ، في الوقت الذي كان فيه دزرائيلي ، دربي ، وإليوت يقدمون إجابات غامضة حول تلك الفظائع ، ورفضوا التعليق على مقالات ماكجهان ؛ والشائعات التي تؤكد القتل . كان دزرائيلي مصممًا على التفسير القائل بأن "الفظائع البلغارية ؛ إنما هي فخ روسي ، لطرد العثمانيين من أوروبا " (٣٩) .

عمل دزرائيلي على التقليل من آثار ثورة البلغار وعدد الضحايا ؛ معتبرًا أن أهدافًا سياسية تكمن وراء إثارة روح العداء إزاء الدولة العثمانية ؛ أكثر من كونها مسألة إنسانية ، وهي توفير الغطاء السياسي لعدوان روسي ضدها ، ولقد لاقى دزرائيلي في موقفه تأييدًا واضحًا من سفيره إليوت (٤٠) .

وقد اقترح القس جون ستروجان John Strogan ، أنه إذا كانت الحكومة على درايةٍ ومعرفةٍ بالفظائع ، وتوافق عليها . وذلك بما يتضح من صمتهم ، ففي هذه الحالة لابد لأعضاء مجلس الوزراء بزعامة دزرائيلي أن يُطرَدوا من البلاد ، لا أن يُقالوا من وظائفهم فحسب (٤١) .

ولقد أدى استمرار تلك الأحداث ؛ إلى دفع أعضاء السفارة البريطانية في إستانبول للقول في تقريرهم بأن المذابح البلغارية "ربما كانت أبشع جريمة في القرن الحالي" Most Heinous Crime of The Present Century وفي

خريف عام ١٨٧٦م ؛ بدأت المظالم البلغارية تطغي على الرأي العام البريطاني . وحتى ذلك الوقت لم يبلغ دزرائيلي رسميًا من قبل سفيره أو وزير خارجيته بأحداث ومظالم البلغار، بل جاءت الأخبار من صحافة حزب الأحرار المعارض مما أثار لديه الشك [٤٢] .

كان زعيم المعارضة جلادستون Gladstone ذي تنشئة مسيحية متعصبة ، الأمر الذي انعكس على موقفه من الدولة العثمانية والحكومة البريطانية ، لذلك عمل جلادستون على تكريس جهوده ضد حكومة المحافظين مستغلًا المسألة البلغارية ، وما أشيع عن قيام الدولة العثمانية بمذابح ضد البلغار ، لكن حزب الأحرار لم يكن مجتمعًا على دعمه في استنكاره هذا ضد دزرائيلي [٤٣] .

وفي ٤ سبتمبر حضر جلادستون Gladstone وديلان Delane حفل عشاء ، دُعيا إليه من قبل اللورد جرنفيل Lord Granvill ؛ حيث تمت مناقشة موضوع التحريض والإثارة بشكل موسع . وتم الاتفاق على ضرورة "خروج العثمانيين من بلغاريا" ، مع احتفاظهم بالسيادة الاسمية ؛ إن أرادوا .[٤٤] وحصل جلادستون على دعم رئيس تحرير جريدة التايمز The Times Newspaper في نشر كتيبه. وفي يوم ٦ سبتمبر، نشر هذا الكتيب محققًا مبيعات تقدر بنحو ٤٠٠٠٠ نسخة في أول أسبوع؛ محققاً إجمالي مبيعات ٢٠٠٠٠٠ نسخة [٤٥] .

وعندما قرأ دزرائيلي كتيب جلادستون بشأن المسألة البلغارية، كان رأيه فيه أنه شديد اللهجة، وفيها نزعة الانتقام، وأنها أكثر شرًا من الفظائع البلغارية ذاتها.[٤٦] وكان دزرائيلي يعلم أنه إذا ما أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية بحجة مساعدة شعوب البلقان المسيحية – في ظل تنامي غضب الرأي العام تجاه الدولة العثمانية – فإن هذا سيجعل من الصعوبة على بريطانيا القيام بالدفاع عنها، إن لم يكن الأمر مستحيلًا [٤٧].

أما جلادستون فقد استمر في مهاجمة حكومة دزرائيلي والدولة . في الوقت الذي أصبح فيه دزرائيلي محدود القدرة على دعم الدولة العثمانية؛ رغم موقفه المبدئي والصريح بسبب تحريض جلادستون والمظالم البلغارية . وفي ٢١ سبتمبر قام دربي بالكتابة إلى سفيره في إستانبول ؛ يوجهه كي يخبر الباب العالي باستياء الرأي العام في بريطانيا مما يقوم به الجيش العثماني في بلغاريا .

وفي هذه الحالة ؛ فإنه من المستحيل على حكومة بريطانيا التدخل للدفاع عن الدولة العثمانية في حال إعلان روسيا الحرب ضدها [٤٨] .

وكانت مهمة دزرائيلي الأولي بالرعاية هي حماية بريطانيا ومصالحها من روسيا، بينما كان جلادستون يعمل كل ما بوسعه لإثارة الشعور الإنساني لدي الرأي العام في بريطانيا لموقف يدعو إلي ترك روسيا تتحكم في البسفور والدردنيل.[٤٩] وإجمالًا كان دزرائيلي ضد دعم المسيحيين في الدولة العثمانية .[٥٠] ولم يبد أي اهتمام " بحركات التحرر " التي يقوم بها هؤلاء في البلقان .[٥١] وهو بذلك يمتلك سياسة شرقية واضحة ، ولا يرى هناك سببًا للتغيير ، بل ويعتقد بضرورة إبقاء الدولة العثمانية لمقاومة روسيا ، لذلك لم يكن ليعطي المسألة البلغارية الاهتمام الذي أولاها إياه جلادستون [٥٢] .

وبالنسبة للمعارضة ؛ فقد " كان صدى المظالم البلغارية في بريطانيا ليبعث على الاعتقاد بأن دزرائيلي هو السلطان ، وأن دربي هو الصدر الأعظم " . في الوقت الذي عبر فيه دزرائيلي عن سياسته وهي الحفاظ على صيانة الدولة العثمانية كأساس لصيانة الدولة العثمانية ، بل كان يرى أن " عدو الهند ليس الدولة العثمانية بل روسيا " . ولكن تصاعد هيجان الرأي العام البريطاني بسبب الأحداث المتصاعدة ؛ أوجد انطباعًا بأنه من الممكن أن تضعف الحكومة البريطانية؛ وفي ٣٠ أكتوبر قام دربي بإعلام الحكومة الروسية ، عبر سفير بلاده في سان بطرسبورج ، بأن الشعور القومي في بريطانيا بات ضد الدولة العثمانية بسبب أحداث بلغاريا ، وكان مغزى هذه الرسالة أن الحكومة البريطانية لن تتخذ خطوة عدائية ضد روسيا في حال تطور الأمور [٥٣] .

وكان عرض روسيا احتلال بلغاريا ؛ واحتلال النمسا للبوسنة والهرسك ، قد أثار بريطانيا ، والتي عبرت حكومتها عن عدم لزوم مثل هذا التصرف في حال إقناع الباب العالي بخيار الإصلاحات.[٥٤] وفي خطوة تصعيدية وحادة أعلنت حكومة بريطانيا إذا ما قامت روسيا باحتلال بلغاريا ؛ فإن بريطانيا سوف تحتل غاليبولي وإستانبول [٥٥] وتحليلًا لذلك فإن أحداث بلغاريا قد أثرت على الدولة العثمانية ، حيث زادت من الاضطرابات داخل الدولة العثمانية ، وفي الوقت

نفسه كان الأثر الأكبر تأثيرًا يتمثل في زعزعة مبدأ "الحفاظ على الدولة العثمانية" لدى الأوساط البريطانية ؛ فبعد أن كانت عقيدة راسخة في الوجدان البريطاني ، أصبح المبدأ مشروطًا بتقديم تنازلات للقوى الكبرى ، وبإدخال الإصلاحات للمسيحيين داخل الدولة العثمانية ، وإرضاء القوميات البلقانية ؛ الطامعة في تكوين دولة سلافية ، يتزعمها الصرب .

وعندما أصدرت برلين وڤينا وسان بطرسبورج ؛ بعد اجتماع بسمارك[٥٦] أندراسي وجورشاكوف ، مذكرة برلين "Berlin Memorandum" في ١١ مايو ١٨٧٦م والتي تضمنت حث السلطان على القيام بإجراءات مؤثرة ؛ للتوصل إلى هدنة لمدة شهرين ؛ تتراجع خلالها القوات إلى مواقعها في البوسنة والهرسك . وتطبيق ما جاء في مذكر أندراسي [٥٧] .

أغتاظ دزرائيلي لأن بريطانيا لم تستشر عندما تم وضع مذكرة برلين . لذلك أرسل دزرائيلي إلى مجلس الوزراء يوعز لهم برفض المذكرة ، لأنه سيعطي فرصة سانحة لروسيا والنمسا لإيجاد نقاش لتقسيم أملاك الدولة العثمانية . لذلك رفض دزرائيلي وحكومته هذه المذكرة [٥٨] .

وعلى ما يبدو فقد خشيت حكومة دزرائيلي إن هي أيدت الثورة من أن يؤدي ذلك إلى إضعاف نفوذها لدى الباب العالي، أو أن يساعد ذلك روسيا على تنفيذ سياستها تجاه الدولة العثمانية. لذلك رأت أن مذكرة برلين تعدت مسألة الإصلاحات، وخاضت في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية في أوروبا؛ بأن تحصل النمسا – المجر على البوسنة؛ مقابل ضم روسيا لجنوب بسارابيا، وأن ذلك ليس إلا تمهيداً لتفويض الدولة العثمانية في أوروبا . وأخيراً يعود رفض بريطانيا للمذكرة إلى أن العصبة لم تستشرها حين وضعتها بل فرضتها عليها فرضاً، وإنها بذلك قد عاملتها كدولة من الدرجة الثانية أو الثالثة [٥٩] .

وكان هذا الرفض يتم في ظروف عصيبة بالنسبة للدولة العثمانية، فقد عاصر هذه الأزمة في البلقان؛ مرابطة أساطيل الدول الأوروبية على مقربة من الدردنيل.[٦٠]وإدراكاً للأمور أمر دزرائيلي الأسطول البريطاني بالتوجه إلى خليج " بيسكا " وبالرسو خارج الدردنيل ، كي لا تستغل روسيا اقتحامه للدردنيل وتقوم

باحتلال إستانبول والممرات ، وكانت هذه الخطوة هي بداية تورط بريطانيا في الأزمة البلقانية [٦١] .

ولقد اعتبرت الدولة العثمانية أن استدعاء الأسطول إلى المياه العثمانية ؛ يعني بوضوح وقوف بريطانيا إلى جانب تركيا في موقفها ، وأن ذلك يعني بشكل أوضح أنها ستدعم الدولة العثمانية في حال قيام الحرب مع روسيا ؛ ما دفع القيصر نيقولا لتحذير دربي بأنه إذا استمرت بريطانيا في موقفها بشأن الدولة العثمانية ، فإنها ستجد نفسها لا قيمة لها Quantitre Negligible في الدبلوماسية الأوروبية [٦٢] .

وقد قام جورشاكوف بخطوة خرج فيها لأول مرة عن سياسته في حل المسألة البلقانية بالتعاون مع العصبة ، فدخل في مفاوضات مباشرة مع الحكومة البريطانية بواسطة شوفالوف Schouvalov السفر الروسي في لندن . وقد حاول السفير الروسي تبديد شكوك بريطانيا بنيات بلاده تجاه الدولة العثمانية ، وأنه ليس لديها أية نية للتوسع في البلقان ، فاقترح على الإنجليز صيغة حل يقضي بمنح البوسنة والهرسك استقلالًا ذاتيًا ؛ كالذي حصلت عليه صربيا ورومانيا ، أي بمعنى آخر ضرب النفوذ النمساوي – المجري في هاتين المنطقتين[٦٣] .

وكاد البريطانيون أن يوافقوا لولا أن علم أندراسي بالمفاوضات، وتمكن من إحباط الاتفاق في آخر لحظة ، بعد أن ناور في اتجاهين : فبعد جهد كبير تمكن من إقناع الروس عن تلك الفكرة ؛ والالتزام بخططه للإصلاح . وفي الوقت ذاته ، قام بتحذير دربي ، وزير الخارجية البريطاني ، بسبب الاختلافات الدينية والعرقية بين المسلمين والمسيحيين ، وإمكانية قيام شعوب بلقانية أخرى بالاحتذاء بالمنطقتين ، والثورة في سبيل الاستقلال ، مما يعرض السلام الدولي للخطر [٦٤] .

- **الحرب بين صربا والجبل الأسود والدولة العثمانية ١٨٧٦م :**

في بداية عام ١٨٧٦ كانت وزارة كاليفتش Kalievitch على رأس الحكومة الصربية.[٦٥] وعلى أي حال ؛ ففي مايو خرجت الحكومة الائتلافية وزارة حكومة كاليفتش – من الحكم ، وحلت محلها حكومة برئاسة ريزتش Ristic

(٦٦). وكان اختيار ريزتش علامة بارزة على اتجاه صربيا نحو الدخول في حرب مع الدولة العثمانية (٦٧).

وفي ٣٠ يونيو أعلنت صربيا الحرب على الدولة العثمانية ، وتبعها في اليوم التالي نيقولا، أمير الجبل الأسود بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في إطار المعاهدة الموقعة بين البلدين ، وفي إطار تناقش بينهم على قيادة السلاف الجنوبيين(٦٨). وفي إطار الهدف " الأيدلوچي " المتمثل في " إحياء القومية الصربية ، وإعادة إمبراطورية ستيفان دوشان الكبرى " (٦٩) .

ومع ارتفاع وتيرة الاستعداد الصربي للحرب على الدولة العثمانية، عملت الحكومة البريطانية – بزعامة دزرائيلي – على منع الحرب ، وتركز جهدها الأساسي في آخر يونيو ١٨٧٦م في التعاون مع القوى العظمى؛ للضغط على الصرب للمحافظة على السلام ، فقد كانت الحكومة البريطانية تدرك أهمية نفوذ سان بطرسبورج في منع هذه الحرب، وأنه إذا كانت حكومة سان بطرسبورج على استعداد للتعاون بإخلاص مع الدول الأخرى ، فإن الأمل كبيرًا في منع الحرب ، حتى لو نشبت الحرب فمن المؤكد أن تنتهي بهزيمة الصرب . وقد عبر دزرائيلي عن هذا المعنى في خطاب إلى دربي في ٢٨ يونيو " أن صربيا لن تتحرك ما لم تكن واثقة تمام الثقة من مساعدة الروس لها لضمان النصر . لكن في حالة انتصار الدولة العثمانية فإنها سوف تطالب بحقوق المنتصر ، وأن بريطانيا في تدخل روسيا علنًا في هذا الموضوع ، فإنها سوف تنظر إلى ذلك التدخل نظرة جدية خطيرة (٧٠) .

ومع فشل الجهود الدبلوماسية ، وإعلان الحرب على الدولة العثمانية اتخذت لندن من " الحياد " موقفًا ؛ طالما اتخذ الآخرون الموقف نفسه ، بالرغم من استنكار لندن لجوء الصرب إلى الحرب ، والتي اعتبرها دزرائيلي " حربًا عبثية " وتوقع هزيمة الصرب . أما الصحف البريطانية فقد شنت هجومًا عنيفًا على الصرب وروسيا ، واعتبرت موقف الصرب خطأً جسيمًا ، وليس له ما يبرره ، وأن الهدف هو التوسع والطمع من جانب السلاف. وهاجمت الصحف البريطانية روسيا واتهمتها بتحريض الصرب على الحرب ، وأن الصرب مجرد أداة ، واتهمت روسيا بالخداع ، وأن هدفها تخريب الدولة العثمانية ، وأنه في الوقت

الذي تدعي فيه روسيا أن غايتها حرية المسيحيين فإن يداها لا تزال ملوثة بدماء الكاثوليك في بولندا [٧١] .

أما دزرائيلي فقد تكلم للمرة الأخيرة أمام مجلس العموم في ١١ أغسطس ١٨٧٦م، – معترضًا علي تلك الحرب – وعندها سمع العالم أن الملكة منحته بسعادة لقب إيرل" بيكونسفيلد" Earl of Beaconsfield [٧٢] .

في الوقت الذي لحقت فيه الهزيمة الشديدة بالعرب والجبل الأسود في عدة معارك عسكرية، مما دفعها إلي طلب وساطة الدول الأوروبية، لكن الباب العالي فرض العديد من الشروط التي اعتبرت قاسية، وأرسل دربي إلي سفيره إليوت رسالة يوصلها إلي الباب العالي مضمونها : " إن مطالب الدولة العثمانية لا يمكن قبولها كلية " وأن الدول ترغب بإرجاع حالة صربيا والجبل الأسود إلي ما كانت عليه قبل الحرب [٧٣] .

ومع توالي الهزائم الصربية أخذت بريطانيا المبادرة بإبلاغ القنصل العام في بلغراد في ١٤ أغسطس : " أن بريطانيا لن تتوسط ما لم يتقدم "ميلان أوبرتوفيتش " Milan Obrenovic بالالتماس للقوى الأوروبية للتدخل .[٧٤] وفي ٢٤ من ذات الشهر؛ ونتيجة لضعف الموقف الصربي توسل ميلان إلى الدول الأوروبية ؛ طالبًا التدخل لدى إستانبول . وبالفعل تحركت بريطانيا ، واتصلت بالقوى الكبرى للحصول على موافقتها للتوسط . وكانت التعليمات التي أُعطيت للسفير البريطاني في إستانبول في أول سبتمبر ؛ الضغط على الباب العالي – للموافقة على هدنة لا تقل عن شهر مع عقد مباحثات سريعة لإقرار السلام . وقد تناول " إليوت " مع قناصل الدول الأخرى في إستانبول ؛ الذين وافقوا على مساعدة إليوت في مساعيه للتوسط والمصالحة [٧٥] .

وفي ٢٩ أغسطس أعلنت لندن : " إن الانطباع هنا قد حطم التعاطف مع الدولة العثمانية، وبالتوازي إذا ما قامت روسيا بإعلان الحرب ضد الباب العالي، فإن حكومة جلالة الملكة سوف تجد أنه من المستحيل التدخل عمليًا. [٧٦] وفي ٣ سبتمبر تقدم إليوت بمذكرة إلى الباب العالي ، كما تقدم قناصل الدول الكبرى

بمذكرة مشابهة في ٤ سبتمبر ، ولكن الباب العالي اعترض على الاقتراحات ؛ مما أدى إلى عرقلة المساعي البريطانية (٧٧) .

وفي الوقت الذي بذلت فيه لندن مجهودات كبيرة من أجل إقرار الهدنة بين كل من الطرفين ، فقد أصرت صربيا على تنفيذ هدفها الرئيس المتمثل في "الحصول على الحرية لإخوانهم السلاف" ، ولن يسمحوا لأي محادثات لا تؤدي إلى هذا الهدف ؛ وكشرط لإقرار الهدنة مع صربيا ، فإن الباب العالي ، طلب أن تطلب صربيا من الباب العالي هذه الهدنة . وقد طلب السير إليوت ، السفير الإنجليزي في إستانبول ؛ من صفوت باشا أن يذكر شروط السلام ، والتي سوف تقوم الدول الكبرى بمحاولة إجبار صربيا على قبولها ؛ في حال موافقة القوى الكبرى عليها (٧٨) .

وكان دزرائيلي يخشى من تدخل روسيا ، وقيامها عمليًا بمساعدة الصرب ضد الدولة العثمانية ، لذلك حث السلطان في ٢١ سبتمبر ١٨٧٦م على الإبقاء على الوضع الراهن Status Quo بحيث يجب المحافظة على صربيا والجبل الأسود من خلال إعطاءهما حكمًا محليًا ذاتيًا ، وتطبيق الإصلاحات في بلغاريا (٧٩) . لكن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ – ١٩١٨م) سرعان ما رفض ذلك (٨٠) .

ومع رفض الباب العالي للمقترحات البريطانية مع الموافقة علي وقف القتال حتى ٢ أكتوبر ورفضت الصرب لأي هدنة لا تتم في إطار قانوني رسمي، وبالرغم من تدخل بريطانيا وروسيا لدي الصرب، فقد استؤنفت العمليات العسكرية في آخر سبتمبر، في الوقت الذي تحركت روسيا التي طالبت من خلال شوفالوف، سفيرها في لندن في ١٣ سبتمبر بضرورة الإصرار بشكل قاطع علي عقد الهدنة بسرعة دون ربطها بأي شروط . وعقد مجلس الوزراء البريطاني اجتماعًا في ٤ أكتوبر، بينما أبلغ دربي شوفالوف أنه في حالة رفض الباب العالي الموافقة علي شروط السلام فإن الطلب الأصلي سيكون عقد الهدنة التي طالب جورشاكوف أن تستمر ستة أسابيع، وقد وعد دربي شوفالوف بأن الهدنة لا تقل عن شهر، ويبدو أن الحكومة البريطانية والروسية قد اتفقتا علي هذه النقطة (٨١) .

فالمقترحات البريطانية على ما يبدو لم تراع أن صربيا والجبل الأسود إمارتان تابعتان من الناحية الرسمية للدولة العثمانية ، وأن ما قامت به الإمارتان من اعتداء دون مبرر ، يمثل تمردًا على الدولة صاحبة السيادة عليهما – لذلك رفضتها الدولة العثمانية –.(٨٢) وقد مارست لندن ضغوطًا على إستانبول لقبول شروط الصلح ، لإبعاد روسيا عن التدخل السياسي والعسكري (٨٣) .

وقد صدق مجلس الوزراء البريطاني علي هذا الموقف حيث أعطيت التعليمات إلي إليوت في ٥ أكتوبر أنه في حالة رفض العثمانيين لتفاهم السلام الضغط علي الباب العالي للحصول علي هدنة لا تقل عن شهر علي أن تعقب الهدنة مداولات سريعة لتحقيق السلام ، وقد اقترح السفير ترك إستانبول في حالة رفض الباب العالي الهدنة، وبينما الضغوط مستمرة علي إستانبول رأت الحكومة البريطانية أنه من مصلحة السلام توجيه اللوم إلي روسيا لسماحها بدخول الضباط والجنود والروس في الجيش الصربي تحت مسمي "القومية " (٨٤) .

وأمام التدخل الروسي والمؤامرات الداخلية ؛ وللتخفيف من حدة المواجهة مع روسيا والدول الأوروبية ، فقد قام السلطان بمنح الصرب الهدنة في ١٠أكتوبر ١٨٧٦م ، حيث وافق على مد أجل الهدنة لمدة ستة شهور مع الدول الكبرى ، وليس مع صربيا والجبل الأسود (٨٥) .

ويبدو أن صربيا والحكومة الروسية رفضتا الهدنة الطويلة ، وأصرت روسيا ألا تزيد الهدنة عن ٤ أو ٦ أسابيع مع إمكانية مدها . (٨٦) وكرد فعل وقائي عمل دزرائيلي على إرسال بعض المهندسين تحت قيادة الكولونيل هوم Home ، ليعملوا على تحصين إستانبول والموانئ العثمانية تحسبًا لأي طارئ . كما قام بإجراءات مع ألمانيا ، كما قام باتصالات ومباحثات سرية مع النمسا ، وذلك لتنسيق الجهود تجاه أي رد فعل روسي محتمل ، في حين أبلغت حكومة بريطانيا روسيا أنه مهما تكن الفظائع التي ارتكبتها الحكومة العثمانية ، فإن بريطانيا لابد وأن تحمي مصالحها في قناة السويس وإستانبول (٨٧) .

ومع وصول إغناتيف في مهمة خاصة إلى إستانبول ليقدم إنذاراً للحكومة بضرورة التوصل إلى معاهدة وهدنة مع الصرب خلال يومين ، وأعلن أنهم

سيقطعون العلاقات الدبلوماسية ، وسيحتلون إستانبول في حالة عدم قبول الطلب، ولذا اقترح دزرائيلي على حكومته إرسال الأسطول البريطاني إلى البسفور ؛ لاحتلال إستانبول بدافع الصداقة ، بدلًا من قيام روسيا بذلك ، لكن اعترض دربي على الأمر باعتبار أن هذا الأمر سيخلق ذعراً في جميع أنحاء أوروبا . وقد أعلن دزرائيلي جملته الشهيرة "إستانبول هي مفتاح الهند وليس مصر أو قناة السويس" (٨٨) . وقد سبب الإنذار الروسي ذعر في بريطانيا ، ووصفته ملكتها بـ " المتهور " (٨٩) .

قام الكونت شوفالوف Count Shuvalovبتقديم اقتراح في ٢٦ سبتمبر يقضي باحتلال روسيا لبلغاريا ، على أن تقوم النمسا باحتلال البوسنة ؛ بينما تقوم الأساطيل الحربية المتحدة للقوى العظمى بدخول مضيق البسفور ، مما دفع مجلس الوزراء البريطاني إلى الانعقاد في أكتوبر وقرروا رفض الاقتراح الروسي باعتبار ذلك تكريسًا للضغط على الباب العالي ، لضمان تنفيذ مطالب صربيا وصديقتها روسيا ، كما اعتبره اقتراحًا جديدًا لاستخدام القوة العسكرية الروسية ، وأن ذلك في حال تطبيقه سيكون مظلمة حقيقية للأتراك (٩٠) .

وفي ٩ نوفمبر تحدث دزرائيلي في هذا المعنى صراحة في مقر عمدة لندن، حيث عبر عن عدم إيمانه أو ثقته بتعهدات القيصر أو نزاهة روسيا ، وتأكدت قناعته في اليوم التالي ، وذلك عندما أعلن القيصر ضرورة حماية صربيا ، وأبدى رغبته في الحصول على المزيد من الأراضي ، والتوصل لتفاهمات أوروبية حول ذلك ، وأنه سوف يعمل مستقلًا عن سائر الدول الأوروبية من أجل حمايته الرعايا المسيحيين في المستقبل . (٩١) وحاول بسمارك التوفيق بين بريطانيا وروسيا إلا أن سياسته لم تؤد إلى نتيجة؛ فبريطانيا تتمسك بسياسة المحافظة على الدولة العثمانية ، وروسيا ذات أطماع في إستانبول وأملاكها (٩٢)

وكان دربي ، وزير الخارجية البريطاني ،قد قام بدعوة جميع القوى الأوروبية لعقد مؤتمر للدول الأوروبية في إستانبول لحل المسألة الشرقية ، على أساس تكامل وصيانة الدولة العثمانية (٩٣) . ومثل سالزبوري Salisbary وهنري إليوت بريطانيا في مؤتمر إستانبول (٩٤) .

ومما يلفت النظر ، التقارب الذي حدث بين سالزبوري وإغناتيف خلال جلسات المؤتمر ، خاصة أن الأول كان يرى استحالة استمرار الحكومة البريطانية ؛ بسياستها التقليدية في المحافظة على الدولة العثمانية وكان سالزبوري متحمسًا لمسيحي البلقان ولا يخشى ، بل كان يرى ضرورة وجود تفاهم بينها وبين بريطانيا (٩٥) .

الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧م :

برزت داخل حكومة بريطانيا أزمة جديدة خاصة باستدعاء هنري إليوت من إستانبول إلى لندن ، حيث اتخذ موقفًا حازمًا يقضي بعدم إعادته مجددًا إلى إستانبول ، في حين كان دربي مصرًا على إعادته هناك أما سالزبوري فقد كان يحمل إليوت مسئولية تدهور الأمور داخل الدولة العثمانية بخصوص البلغار وغيرهم قائلًا في ١٣ ديسمبر ١٨٧٦م : " أنياب الأتراك يجب أن تخلع إذا سمح لهم بالعيش ، وأنا أعتبر كل مشكلاتنا جاءت بسبب غباء إليوت وكسله ... " . فقام دزرائيلي باختيار "هنري أوستن لايارد" Henry Austen Layard سفيراً لبلاده في إستانبول في ٣٠ مارس ، وكان هذا الاختيار يحمل في طياته مغزىً سياسياً خاصاً؛ لأن لايارد كان معروفًا بخطاباته المدافعة عن الدولة العثمانية ؛ ومعارضته لسياسة جلادستون (٩٦) .

ومع عرض بروتوكول لندن London Memorandum على صفوت باشا من قبل الجانب الروسي ؛ أصبح واضحًا للحكومة البريطانية أن الأمور في طريقها للتصعيد ، لذلك فقد أعلنت أن اهتماماتها ومصالحها بطرق مواصلاتها إلى الشرق عبر السويس ؛ يجب ألا تمس ، كذلك الأمر فيما يتعلق بالمضايق العثمانية وإستانبول. (٩٧)

وعندما اجتمع مجلس الوزراء الروسي في يوم ١٣ إبريل برئاسة القيصر ، الأمر الذي كانت نتيجته النهائية ؛ إعلان الحرب على الدولة العثمانية في ٢٤ أبريل ١٨٧٧م (٩٨) .

ومن الجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية التي كانت قبل شهر على عروض بسمارك ، وبسبب انقسامها حول عمل موحد ضد روسيا يقي مصالحها

من الضرر ، قد اكتفت بتوجيه إنذار إلى الأخيرة في ٦مايو ١٨٧٧م بعدم التعرض لمصالحها التجارية والاستراتيجية . وفي ١٧ و٢١ يونيو تكرر الإنذار البريطاني ، حينما كان الجيش مندفعًا تجاه جبال البلقان . وفي النهاية لم تنجح بريطانيا في جر النمسا – المجر إلى تحالف معها ضد روسيا (٩٩) .

وفي النهاية التزمت بريطانيا الحياد أثناء الحرب الروسية العثمانية بعد أن حصلت علي تعهد من روسيا في يونيو بعدم التعرض للمصالح البريطانية في إستانبول ومصر وقناة السويس والمضايق، وعلي هذا الأساس كانت أغلبية المعارضة تري وقوف الحكومة علي الحياد بينما وجد جلادستون في هذه الحرب فرصة لتأييد روسيا في حربها الدينية، كما أن بعض أعضاء الوزارة البريطانية وكذلك البرلمان، كانوا متعاطفين مع روسيا في حربها ضد الدولة العثمانية (١٠٠) .

ومع دخول الروس بلغاريا ازداد قلق الملكة فهي لا تصدق وعود روسيا وتطالب بالحصول علي ضمانات. (١٠١) وفي الوقت الذي كانت فيه ملكة بريطانيا تحث الحكومة علي التدخل محذرة من عواقب التمهل في هذا الأمر، كانت حكومة لندن منقسمة علي نفسها لدرجة أن دزرائيلي يكتب إلي الملكة في نوفمبر ١٨٧٧م أن مجلس الوزراء مكون من ١٢ عضو يوجد به سبعة اتجاهات مختلفة (١٠٢) .

ومع تقدم القوات الروسية بعد سقوط بلفنه عزم دزرائيلي علي اتخاذ موقف جدي من روسيا بعد طلب الدولة العثمانية من الدول الأوروبية التدخل ورفض روسيا وساطة بريطانيا، وتخرج من الموقف بعد أن شقت القوات الروسية طريقها إلي العاصمة العثمانية ويرسل السلطان في ١ يناير برقية إلي ملكة بريطانيا طالبًا التوسط لعقد هدنة وبدء مباحثات السلام وتبرق الملكة في ١٤ يناير إلي القيصر معربة عن أملها في تحقيق السلام، ويجيء الرد الروسي مخيبًا للآمال، إذا أعرب عن رغبته في سلام حقيقي ولكن قادة الجيوش الروسية يدركون الطرق التي يمكن أن تتوقف فيها الأعمال الحربية (١٠٣) .

وبعد سقوط أدرنه في ٢٠ يناير يزداد الموقف حرجًا ويقرر دزرائيلي إرسال الأسطول إلي المضايق في ٢٣ يناير مما أدي إلي استقالة دربي وزير الخارجية

وكارنافون وزير المستعمرات. [١٠٤] وفي ٣١ يناير تم توقيع هدنة أدرنة والتي حرصت الحكومة الروسية علي إبقاء شروطها طي الكتمان، ولذلك عندما أثير موضوع الهدنة في مجلس العموم في أول فبراير لم يكن لدي الحكومة البريطانية علم بمحتويات شروط الصلح والهدنة واقتصرت معلوماتها علي توقيع الهدنة في ٣١ يناير [١٠٥] .

ومن الواضح من مناقشات مجلس اللوردات ومن توضيحات وزير الخارجية دربي المستندة إلي المراسلات الدبلوماسية من إستانبول وبطرسبورج وبلجراد وغيرها من العواصم حالة التعتيم التي فرضتها سان بطرسبرج علي بروتوكول الهدنة، كما توضح هذه المناقشات عدم الالتزام بوقف إطلاق النار من جانب الصرب بالرغم من إعلان الأمير ميلان وقف الأعمال الحربية وتقدم القوات الصربية في كوسوفا، كما توضح المناقشات حالة القلق التي سيطرت علي الدوائر البريطانية نتيجة الخوف من إقدام روسيا علي الاستيلاء علي إستانبول وتهديد المصالح البريطانية [١٠٦] .

ومع عقد معاهدة سان ستيفانو St. Stephno في ٣ مارس ١٨٧٨م [١٠٧] والتي من الواضح أنها وضعت وفق ما يناسب مصالح روسيا .[١٠٨] وبنيت على أساس خلق بلغاريا الكبرى Big Bulgaria ، على أن تكون في المستقبل أداة طيعة لخدمة المصالح الروسية [١٠٩] .

وعندما أعلنت المعاهدة ، كان هناك كثير من المعارضة من قبل بريطانيا التي لم تكن راغبة بإنهاء المسألة الشرقية على هذا النحو ؛ الذي ترغبه روسيا وتتمناه ، وكان خوفها أساسًا من أن معاهدة سان ستيفانو فتحت طريق البحر لروسيا ، مما يبعث على الخشية من تقدمهم جنوبًا مما يهدد طريق الهند .[١١٠] كما اعتبرت بريطانيا أن " بلغاريا الكبرى " Big Biulgaria وبروز بعض القوميات في البلقان خطرًا عليها ، لأنها ستكون بمثابة مقاطعات روسية تمثل تهديدًا ثابتًا لإستانبول ، وقاعدة لأي هجوم روسي مستقبلي على الدولة العثمانية [١١١] .

وأخذت الحكومة البريطانية تدرك أكثر ؛ مخاطر السياسة الروسية على مصالحها ، ولم تعد المسألة هي المحافظة على الدولة العثمانية بقدر ما أصبحت مسألة التفوق الروسي أو البريطاني في العالم . ولهذا قررت الحكومة البريطانية صرف مبلغ ستة ملايين جنيه استرليني ؛ لدعم المقدرات العسكرية للبلاد . وفي الوقت ذاته حاولت فاشلة إنشاء جبهة من دول البحر المتوسط ضد النفوذ الروسي (١١٢) .

أما عن تفصيل ردود الأفعال في بريطانيا فيمكن القول بأن الأزمة تتعلق بالأساس بعملية تقسيم روسيا للدولة العثمانية ، وهذا ما دفع دزرائيلي إلى وصف هذه المعاهدة بـ " المهزلة " ولذلك جاء رد فعل بريطانيا بتعديل كل بنود معاهدة سان ستيفانو (١١٣).

وقبل عقد مؤتمر برلين ؛ الذي دعا بسمارك إليه ، حاولت روسيا أن تمنع أي تقارب بين النمسا – المجر وبريطانيا ، كي تأتي الدولتان إلى المؤتمر دون اتفاق مسبق وفي الوقت نفسه كانت روسيا تجري مباحثات مع الحكومة البريطانية عن طريق سفيرها في لندن . وفي ٢٠ مايو توصلت الدولتان إلى اتفاق تعهدت روسيا بموجبه ألا تمتد بلغاريا إلى جنوب جبال البلقان . وفي مقابل ذلك وافقت بريطانيا على استيلاء روسيا على باطوم وقارس وجنوب بسارابيا . ولما كانت بريطانيا تدرك أن أي توسع لروسيا في آسيا الصغرى سيؤثر على مصالحها في الهند ، فقد قررت الحصول على قاعدة في أراضي الدولة العثمانية تكون مفتاحًا لغرب آسيا فوقع اختيارها على قبرص ، فاحتلتها بموافقة السلطان ، بعد ما تعهدت لقاء ذلك بالدفاع عن ممتلكاته في آسيا ضد روسيا (١١٤) .

وقد سبق عقد المؤتمر مباحثات بين ممثلي الدول ، حيث أجرى سالزبوري محادثات مع إغناتيف للاتفاق على صفقات كبيرة يمكن التوصل إليها بين البلدين ، وخصوصًا عما يجب القيام به تجاه البلقان . كما كانت المسألة البلغارية حاضرة بقوة في جلسات المؤتمر إلى حد بعيد ، ومن وجهة نظر البعض فإن إغناتيف كان لطيفًا وتصالحيًا ، لكنه غشاش (مخادع) وبلا

حياء.[١١٥]وقد استغل إغناتيف آراء سالزبوري هذه إلى أقصى الحدود ، بحيث جاءت قرارات المؤتمر لمصلحة روسيا ، رغم ما أدخل عليها من تعديلات [١١٦]

ورغم اتفاقها مع روسيا ، لم تشأ بريطانيا أن تذهب ‘إلى مؤتمر برلين وحيدة ، لذا عقدت مع النمسا – المجر اتفاقًا في ٦ يونيو يقضي بمنع قيام دولة بلغارية كبرى.[١١٧] وما يجب ملاحظته أن بريطانيا كانت لا ترغب بوجود الروس في البلقان أو نشر نفوذهم فيها [١١٨] .

وكانت مناقشات المؤتمر وقراراته كلها خاصة بتسوية العلاقات بين روسيا والدولة العثمانية ، وروسيا والنمسا ، وروسيا وبريطانيا ، وأغلبها خاص بالشئون البلقانية . [١١٩] وحاولت معاهدة برلين قبل كل شئ التوفيق بين مصالح الدول الكبرى في البلقان ، ونفذت إلى حد كبير سياسة التعويض والاستصلاح ، التي وضعها بسمارك بين روسيا وبريطانيا والنمسا ، فقوى النفوذ الروسي في شرق البلقان ، والنفوذ النمساوي في غربه ، ورضيت بريطانيا حين وضع حد لأطماع روسيا في الإشراف على إستانبول والمضايق [١٢٠] .

وكان من نتائج مؤتمر برلين – من وجهة النظر الدبلوماسية – بمثابة نصر لبريطانيا وهزيمة لروسيا ، حيث وضعت بريطانيا حق الفيتو " Veto "على مشروع روسيا لتقسيم أملاك الدولة العثمانية [١٢١] .

الخاتمة

من خلال تتبع موضوع "بريطانيا والأزمة البلقانية " (١٨٧٥-١٨٧٨) تبين أن حكومة لندن بذلت جهودًا دبلوماسية وتحركات عسكرية لإبعاد سان بطرسبورج عن منطقة المضايق ، ومنعها من استغلال شعوب البلقان كأداة طيعة في ضرب نفوذ إستانبول في تلك المنطقة في الصميم.

كشف البحث أن بريطانيا لم تتحرك على كافة الأصعدة من أجل مصلحة الدولة العثمانية أو حتى مصلحة شعوب البلقان ؛ بل كانت التحركات البريطانية في المقام الأول والأخير حفاظًا على مصالحها الحيوية والاستراتيجية سواء بعدم انفراد روسيا بالنفوذ في منطقة المضايق وإستانبول أو حتى في منطقة البلقان كذلك ، أو لضمان نفوذها كدولة من الدرجة الأولى وضمان سيادتها ومجالها الحيوي إلى الهند وقناة السويس .

حدثت مغازلات دبلوماسية أوروبية في منطقة البلقان ، كانت الغلبة فيها في النهاية لدبلوماسية لندن ، التي استطاعت تحجيم القوى الكبرى وعلى رأسها روسيا في منطقة البلقان ؛ وأثبتت الدراسات أن التوازن الدولي لعب دورًا بارزًا وكبيرًا في تاريخ الأزمة البلقانية .

كما كشف البحث أن الأزمة البلقانية كادت تعصف بالدولة العثمانية ، ولكن تدخل بريطانيا أنقذ الدولة العثمانية من الانهيار ، وكشفت الدراسة أن لندن كانت واعية تمامًا للمكر الروسي في المنطقة ، فعملت على إفشال مشروع بلغاريا الكبرى.

ويمكن القول أن الأزمة البلقانية بوجه عام والفظائع البلغارية بوجه خاص؛ كانتا مجرد ورقة رابحة استغلها جلادستون ضد دزرائيلي، وعلي أثرهما حاول جاهدًا تأليب الرأي العام الإنجليزي عليه.

البوسنة
سراييفو
الهرسك
صربيا
بلغاريا
صوفيا
بلغاريا الجنوبية
روميليا الشرقية
الأسود
بيروت
سكوتاري
البحر الادرياتي
البانيا
دورازو
فلونا
كورجزا
مقدونيا
كاستوريا
سالونيكا
تراقيا
ادرنة
استنبول
بحر مرمرة
بيروس
كورفو
بحر ايجة
غاليبولي
هيلاس
البحر الأيوني
أثينا
المورة
حدود الامبراطورية العثمانية
عام ١٨٧٨
عام ١٩١٣
كم ٠ ١١٠ ٢٢٠ ٣٣٠

بلغاريا بعد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨

البوسنة والهرسك تحت إدارة النمسا عام ١٨٧٨

الهوامش

([1]) L.S.Stavrianos, The Balkan Since 1453,New York : HaLL Rinhart & Winston, 1958, P. 397؛ Anderson, M.S, The Eastern Question 1774 – 1923, A study in International Relation, London : Macmillan , 1972 , P. 138 ff.

([2]) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ – ١٨٨٢م، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٢٦ – ٢٧؛ صفوت سيد أحمد حسين، الأزمة البلقانية ١٨٧٥م وأثرها حتى ١٩١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب – جامعة طنطا، ٢٠٠١، ص ٤٨.

([3])D.Mackenzie: , The Serbs and Russian Pan- Slavism 1875 – 1878 , (IThaca / NY : Carnell . University Press, 1967) , P . 31 .

(4) B.H. Sumner : Russia and The Balkan 1870 – 1880, (Hamdon, Ct and London : Archon Books, 1962) ,P. 141 .

([5]) Milos Kovic : The Beginning of The 1879. Serbian Uprising in Herzegoving, The British Perspectine, Belgrade, P.57.

(٦) عبد الرحمن علي خليفة، دزرائيلي: دراسة في الفكر السياسي الإنجليزي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ١٩٧٣، ص٢٣٣.

(7)Wirthawein, Walter, G, Britain and The Balkan crisis 1875 – 1878 , New York : Columbia University Press, 1925,PP 13-14 .

(8) Ibid, PP. 16-17.

(9)عبد الروؤف سنو " العلاقات الروسية – العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨) مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية" ، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ٧٩ – ٨٠ ، بيروت، ١٩٨٥، ص٦-٧ .

(10)محمد مصطفي صفوت ، مؤتمر برلين وأثره علي البلاد العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٢.

(11)محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة ، القاهرة، ١٩٨٧، ص٦٧.

([12])أسرة محمد علي، محفظة رقم ٦٣، دار الوثائق القومية، القاهرة. .

([13]) جون رسل Russel : (١٧٩٢– ١٨٧٨م) ولد عام ١٧٩٢م، تلقي تعليمه في جامعة أدنبرة وانتخب عضواً برلمانيًا عن تافيستوك عام ١٨١٣م ، وكان مسئولًا عن إعداد مشروع قانون الإصلاح الأول، وعرضه علي مجلس العموم البريطاني في مارس ١٨٣١م. ثم صار وزيراً للداخلية من عام ١٨٣٥ – ١٨٣٩م، ثم وزيراً للحرب والمستعمرات بين عامي |(١٨٣٩ – ١٨٤١م)، وتولي رئاسة

الوزراء بعد بيل عام ١٨٤٦م، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٨٥٢م، ثم صار وزيراً للخارجية في وزارة بالمرستون الثانية (١٨٥٩ – ١٨٦٥م). وصار رئيسًا للوزراء إلا أنه استقال من منصبه في العام التالي. وتوفي عام ١٨٧٨م.

(انظر : Britannica Enclyclop (U.S.A – 1959) , vol. 19, PP. 679 – 680)

.

(14) Wirthawein, Walter,OP.Cit,PP 13 – 14.

([15]) يوسف حسين يوسف عمر، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية ١٨٣٩ – ١٩٠٩م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، ٢٠٠٦، ص ١٧٦.

([16]) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م ، ص٣٣٦.

([17])Marriott,J.A.R. : England since waterLoo, London: Methuen& Co.,1913,P. 453.

([18]) يسري خميس حسن علي أبو غالي، الدولة العثمانية وتطور الحركة الوطنية في صربيا (١٨٠٤ – ١٨٧٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة دمنهور، ٢٠١٤، ص١٣٨.

([19]) عبد الرحمن علي خليفة، المرجع السابق، ص٢٣٥.

(20) Rose, J. Holland, The Development of the European Nations, 1870 – 1914, London: A.c. Fifield,1910,P.166.

([21]) Midhat Bey, Ali Hayder, The Life of Midhat Pasha, New York: Arno press, 1973,P.289 .

([22]) Stojanovic,Mihaitlo D: The Great powers and The Balkan 1875 – 1878, Cambridge: At The University Press, 1939, P. 56.

([23]) Macdermott, Mercia: AHistory of Bulgaria 1393 – 1889, London: Gearge Allen & Unwin, 1962, P. 276 .

([24]) يسري خميس حسن علي أبوغالي، المرجع السابق، ص١٤٢.

(25) Russell, Gearge WE, William Ewart Gladstons, London: J. M. Dent, 1908. P. 242.

(26) Millman, Richard, Brichard, Britain and The Eastern Question 1875 – 1878, Oxford: Clarendon Press, PP. 135 – 136.

([27]) جلادستون Gladstone: وليم ايوارت (١٨٠٩ – ١٨٩٨م) : رجل دولة بريطاني وصل إلي البرلمان عام ١٨٣٢م كان من أنصار بيل، أصبح وزيرًا للتجارة (١٨٤٣ – ١٨٤٥) والمستعمرات (١٨٤٥ – ١٨٤٦م) والمالية (١٨٥٢ – ١٨٦٦م) ثم رئيسًا للوزراء (١٨٨٠ – ١٨٨٥م) وكان

رئيسًا لحزب المحافظين من عام (١٨٩٢ – ١٨٩٤م). (أنظر: عبد الله محمد ناجي دوام، التنافس الدولي في البلقان(١٨٧٨ – ١٩١٤م)، رسالة دكتوراه غير منشوره – كلية الآداب – جامعة القاهرة، ٢٠١٤، ص٨٠).

([28]) R.T.shannon: Gladstone and The Bulgarian Atrocities 1876, New York: Thomas Nelson and son, 1963, P.108.

([29])دربي Derby: سياسي بريطاني ولد في ٢٩ مارس ١٧٩٩، دخل البرلمان في عام ١٨٢٠م، تولي رئاسة الوزراء ثلاث مرات للأعوام: (١٨٥٢م)، (١٨٥٨– ١٨٥٩م)، (١٨٦٦م)، توفي في أكتوبر ١٨٦٩م: (للتفاصيل ينظر: Encyclopedia Britannica, Vol. 9, U.S.A, (1979, P. 478.

([30]) Brendan William Larkin: The Times and The Bulgarian Massacres,Wesleyan University, 2009,P. 83.

([31]) Millman, Richard: OP. Cit, P. 129.

([32]) John Boyd Kinner, The Mind of England on The Eastern Question London, Champman and Hall, 1877,P . 4.

([33]) B. W. Larkin, Op. Cit, P. 95.

([34]) يسرى خميس حسن علي أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٤٣ .

([35]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص١٦٤.

([36]) Laffan, R.G.D, The Gurdians of The Gate, Historical Lectures on The Serbs, Oxford: At The Clarendon Press, 1918, P. 122.

([37]) B. W. Larkin, op. cit, p. 97.

([38]) Loc. Cite.

([39]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص١٦٥ .

([40]) يسري خميس حسن علي أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٤٤ .

([41]) B. W. Larkin, op. cit, p. 98.

([42]) Low, Sidney – Sanders, Lioyd C. , The History of England During The Reign of Victoria. 1801– 1837, London: Longmans, Green And Co., 1907,PP 282–283.

([43]) Buckle, George, Earle – mony penny, William. Flavelle, The Life of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield, London: John Murray, 1910 – 1920, Vol . 6, P.37.

([44]) Edward Cook, Delane of "the Times", London : Constable Company Ltd, 1915, p. 256.

([45]) R. T. Shannon, op. cit, pp. 100-110.

(46) Maurois, Andre. Disaeli, Apicture of The Victorian Age, Translated by: Hamish Miles, London: John Lane The Bodley Heat, 1930, P.276.

([47]) Swart Marvin, the Politics of British Policy in the Era of Disraeli and Gladstone, New York : St. Martins Benn, 1973, p. 52.

([48]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ – ١٧٤ .

(49) Pearson, HeskeTh. Dizzy, The Life and Nature of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield, London: MeThuen & Co, 1951, P. 235.

([50]) Rose, J. Holland, Op. Cit, p. 169

([51]) بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥- ١٩١٤م ؛ ترجمة : جلال يحيي، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٥٤٨.

([52]) Eversley, Lord, The Turkish Empire from 1288-1914, London : T. Fischer unwin, 1923, pp. 231-322.

([53]) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٤٦ .

([54]) نفسه ، ص ١٤٧ .

([55]) Dyer, Thomas Henery – Hassal, Arthur, Ahistory of Modern Europe from fall of Constantinople, London : George Bell 7 Sons, 1908, p. 21.

([56]) أتوفون بسمارك: من نبلاء ألمانيا، وصف أنه رجل ذو قبضة حديدية، وسياسي بارع مرن، كان يفهم ضرورة توحيد ألمانيا، وصل إلي السلطة في سبتمبر ١٨٦٢م، وكان عمره حينها سبعة وأربعين عامًا قضاها في خدمة آل هوهنزولرن (Hohen Zollern)، انتخب نائبًا في برلمان فرانكفورت عند قيام ثورة ١٨٤٨م بعدها عمل في سان بطرسبورج الروسية سفيرًا لروسيا، ثم انتقل إلي باريس واطلع أثنائها علي سياسة الإمبراطور نابليون الثالث، استدعاه ملك بروسيا لرئاسة مجلس الوزراء، وكلفه بحل أزمة الصدام بين الحكومة والأغلبية البرلمانية بشأن التشريعات المتعلقة بإعادة تنظيم الجيش: (انظر : أنور الرافاعي، بسمارك والاتحاد الألماني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة؛ ١٩٧٤).

([57]) Marriott, A. J. R, op. cit, pp. 454-455.

([58]) محافظ أبحاث روسيا ، محفظة رقم ١٠٩ برقية من طلعت باشا بتاريخ ١٩ مايو ١٨٧٦م ، دار الوثائق القومية ، القاهرة .

([59])Anderson, op. cit, pp.188 -189.

([60]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص١٨٤.

([61]) عبد الرؤوف سنو المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص٩ .

([62]) Marriott, op. cit, p. 455.

([63]) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص ١٤٩-١٥٠ .

([64]) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١٠ .

([65]) R. Grant Branwell, th Russo – Turkish War, Philladelphia : Joghn E, Potter and Company, 1917, p. 399.

([66]) تشارلز بيبيلافيتش ويارارا بيبيلافيتش ، تفكيك أوروبا العثمانية ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ص ١٦٥ .

([67]) Willian Miller, The Ottoman Empire, 1801 – 1913, Cambridge: At The University Press,1913, p. 363.

([68]) Grant Branwell, op. cit, p. 400.

([69]) Ferdinand Schevill, The History of Balkan Peninsula, New York : Harcourt, Brace and CO., 1922, P. 396.

([70]) Wirtahwein, Walter, Op . Cit PP. 52 – 54.

([71]) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(72) Morely, The life of Gladstone, Vol. P. 418.

(73) Rose, Op. Cit, P. 176.

([74]) الأهرام ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، ٢٦ أب (أغسطس) ١٨٧٦م ، ص١٥ .

([75]) Wirtahwein, Walter, Op .Cit PP. 103 – 104.

(76) Rose, Op. Cit, P. 176.

([77]) Wirthwein, Walter, op. cit, pp. 103-104.

([78]) R. Grant Branwell, op. cit, p. 417

([79]) Anderson, Op. Cit, PP. 188 – 189.

([80]) يسري خميس حسن علي أبو غالي، المرجع السابق، ص ١٦٣.

([81]) Wirtahwein, Walter, Op . Cit PP. 106 – 107.

([82]) مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، ط١ ، مطبعة الآداب ، ١٨٩٨م ، ص١٥٣ .

([83]) Millman, Richard, Op. Cit, , p. 191.

([84]) Wirtahwein, Walter, Op . Cit P. 107.

([85]) محافظ أبحاث روسيا ، محفظة رقم ١٠٩ ، برقية من طلعت باشا بتاريخ ١١ أكتوبر ١٨٧٦م ، دار الوثائق القومية، القاهرة.

([86]) Wirthwein, walter, op. cit, pp. 108-109.

([87]) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٦٤ .

([88]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

([89]) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١١ .

([90]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

([91]) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٦٥ .

([92]) صفوت سيد أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

([93]) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص ٢١ .

([94]) R. Grant Branwell, op. cit, p. 424.

([95]) مصطفى كامل ، المرجع السابق ، ص١٥٥ ؛ عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ص ١٣ .

([96]) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٧٠.

([97]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص٢٠٤ .

([98]) Duggan, Stephen p., Eastern Question, a study in diplomacy, New York : The Columbia University Press, 1902, p. 137.

([99]) محمد مصطفى صفوت ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، عبد الرحمن على خليفة ، المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

([100])عبد الرحمن علي خليفة ، المرجع السابق، ص٢٦٢- ٢٦٣.

([101])Balkan, Robert. Disraeli, London : Eyre & Spott isWorde, 1933, P. 637.

([102]) اندريه موروا : حياة دزرائيلي، ترجمة : حسن محمود، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

([103]) عبد الرحمن علي خليفة، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

([104]) صفوت سيد أحمد حسين، المرجع السابق، ص٩٣.

([105]) نفسه، ص ٩٤.

([106]) محافظ أبحاث روسيا، محفظة رقم (١١٢)، برقية من طلعت باشا بتاريخ، فبراير ١٨٧٨م، دار الوثائق القومية، القاهرة.

([107]) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص٢٥٨.

([108])عبد الرؤوف سنو ، المرجو السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١٦ .

([109]) Marriott, op. cit, pp. 458-459.

([110]) تشارلز بيبلافيتش وباربارا بيبلافيتش ، المرجع السابق ، ص١٧٥.

([111]) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١٧ .

([112]) Ferdinand Schevill, op. cit, pp. 402-404.

([113]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

([114]) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة، ص ١٨ .

([115]) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

([116]) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص ١٣ .

([117]) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٨٠ .

([118]) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص٢٧٧.

([119]) محمد مصطفى صفوت ، المرجع السابق ، ص٤٥ .

([120]) نفسه ، ص ٥٢ .

([121]) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٨٣ .

المراجع

أولًا الوثائق :

- أسرة محمد علي، محفظة رقم ٦٣، دار الوثائق القومية، القاهرة.
- محافظ أبحاث روسيا ، دار الوثائق القومية ، القاهرة .

ثانيًا المذكرات :

- Midhat Bey, Ali Hayder, The Life of Midhat Pasha, New York: Arno press, 1973.
- Buckle, George, Earle – Monyipenny, William. Flavelle, The Life of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield, London: John Murray, 1910 – 1920, Vol . 6.
- pearson, HeskeTh. Dizzy, The Life and Nature of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield, London: MeThuen & Co, 1951.
- Blake, Robert. Disraeli, London : Eyre & Spott Is Worde, 1933

ثالثا: المراجع العربية :

- أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ – ١٨٨٢م، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- أنور الرفاعي، بسمارك والاتحاد الألماني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة؛ ١٩٧٤م.
- بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥– ١٩١٤م ؛ ترجمة : جلال يحيي، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
- تشارلز بيبلافيتش وباربارا بيبلافيتش ، تفكيك أوروبا العثمانية ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة .
- محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة ، القاهرة، ١٩٨٧م.
- محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م .
- محمد مصطفي صفوت ، مؤتمر برلين وأثره علي البلاد العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ، د.ت.
- مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، ط١ ، مطبعة الآداب ، ١٨٩٨م .

رابعا : المراجع الأجنبية

- Anderson, M.S, The Eastern Question 1774 – 1923, A Study In International Relation, London : Macmillan , 1972.
- B.H. Sumner : Russia And The Balkan 1870 – 1880, (Hamdon, Ct

And London : Archon Books, 1962).

. Brendan William Larkin: The Times And The Bulgarian Massacres,Wesleyan University, 2009.

. D.Mackenzie: , The Serbs And Russian Pan- Slavism 1875 – 1878 , (I Thaca / NY : Carnell . University Press, 1967).

. D, Stephen P.,Eastern Question, A Study In Diplomacy, New York :The Columbia University Press, 1902.

. Dyer, Thomas Henery – Hassal, Arthur, A History Of Modern Europe From Fall Of Constantinople, London : George Bell 7 Sons, 1908.

. Edward Cook, Delane Of "The Times", London : Constable Company Ltd, 1915.

. Eversley, Lord, The Turkish Empire From 1288-1914, London : T. Fischer Unwin, 1923.

. Ferdinand Schevill, The History Of Balkan Peninsula, New York : Harcourt, Brace And CO., 1922.

. John Boyd Kinner, The Mind Of England On The Eustern Question London: Champman And Hall, 1877.

. L.S.Stavrianos, The Balkan Since 1453,New York : Hah Rinhart & Winston, 1958.

. Laffan, R.G.D,The Gurdians Of The Gate,Historical Lectures On The Serbs, Oxford:At The Clarendon Press, 1918.

. Low, Sidney – Sanders, Lioyd C. , The History Of England During The Reign Of Victoria. 1801- 1837, London: Longmans, Green And Co., 1907.

. Macdermott, Mercia: AHistory Of Bulgaria 1393 – 1889, London: Gearge Allen & Unwin, 1962 .

. Marriott,J.A.R. : England Since Waterloo, London: Methuen& Co.,1913.

. Maurois, Andre. Disaeli, Apicture Of The Victorian Age, Translated By: Hamish Miles, London: John Lane The Bodley Heat, 1930.

. Millman, Richard, Brichard, Britain And The Eastern Question 1875 – 1878, Oxford: Clarendon Press.

- Milos Kovic : The Beginning Of The 1879. Serbian Uprising In Herzegoving, The British Perspectine, Belgrade.
- R. Grant Branwell, The Russo – Turkish War, Philladelphia : Joghn E, Potter And Company, 1917.
- R.T.Shannon: Gladstone And The Bulgarian Atrocities 1876, New York: Thomas Nelson And Son, 1963.
- Rose, J. Holland, The Development Of The European Nations, 1870 – 1914, London: A.C. Fifield,1910.
- Russell, Gearge We, William Ewart Gladstons, London: J. M. Dent, 1908.
- Stojanovic,Mihaitlo D : The Great Powers And The Balkan 1875 – 1878, Cambridge: At The University Press, 1939.
- Swart Marvin, The Politics Of British Policy In The Era Of Disraeli And Gladstone, New York: St. Martins Benn, 1973.
- Willian Miller, The Ottoman Empire, 1801 – 1913, Cambridge: At The University Press,1913.
- Wirthawein, Walter, G, Britain And The Balkan Crisis 1875 – 1878 , New York : Columbia University Press, 1925.

خامسا: الرسائل العلمية

- صفوت سيد أحمد حسين، الأزمة البلقانية ١٨٧٥م وأثرها حتى ١٩١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب – جامعة طنطا، ٢٠٠١م .
- عبد الرحمن علي خليفة، دزرائيلي: دراسة في الفكر السياسي الإنجليزي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ١٩٧٣م .
- عبد الله محمد ناجي دوام، التنافس الدولي في البلقان(١٨٧٨ – ١٩١٤م)، رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب – جامعة القاهرة، ٢٠١٤م.
- يسري خميس حسن علي أبوغالي، الدولة العثمانية وتطور الحركة الوطنية في صربيا (١٨٠٤ – ١٨٧٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة دمنهور، ٢٠١٤م .
- يوسف حسين يوسف عمر،سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية ١٨٣٩ – ١٩٠٩م،رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الآداب،جامعة عين شمس، ٢٠٠٦م

سادسا: الموسوعات العلمية والقواميس

- Britannica Enclyclop (U.S.A – 1959) , vol. 19.
- Encyclopedia Britannica, Vol. 9, U.S.A, 1979.

سابعًا: الدوريات

- الأهرام ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، ٢٦ أب (أغسطس) ١٨٧٦م.
- عبد الرؤوف سنو"العلاقات الروسية–العثمانية(١٦٨٧ – ١٨٧٨م)مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية"،مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ٧٩ – ٨٠ ، بيروت، ١٩٨٥م.

([1]) L.S.Stavrianos, The Balkan Since 1453,New York : HaLL Rinhart & Winston, 1958, P. 397؛ Anderson, M.S, The Eastern Question 1774 – 1923, A study in International Relation, London : Macmillan , 1972 , P. 138 ff.

([2]) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ – ١٨٨٢م، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٢٦ – ٢٧؛ صفوت سيد أحمد حسين، الأزمة البلقانية ١٨٧٥م وأثرها حتي ١٩١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب – جامعة طنطا، ٢٠٠١، ص ٤٨.

([3])D.Mackenzie: , The Serbs and Russian Pan- Slavism 1875 – 1878 , (IThaca / NY : Carnell . University Press, 1967) , P . 31 .

(4) B.H. Sumner : Russia and The Balkan 1870 – 1880, (Hamdon, Ct and London : Archon Books, 1962) ,P. 141 .

([5]) Milos Kovic : The Beginning of The 1879. Serbian Uprising in Herzegoving, The British Perspectine, Belgrade, P.57.

(٦) عبد الرحمن علي خليفة، دزرائيلي: دراسة في الفكر السياسي الإنجليزي، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ١٩٧٣، ص٢٣٣.

(7)Wirthawein, Walter, G, Britain and The Balkan crisis 1875 – 1878 , New York : Columbia University Press, 1925,PP 13-14 .

(8) Ibid, PP. 16-17.

(٩)عبد الرووف سنو " العلاقات الروسية – العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨) مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية" ، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ٧٩ – ٨٠ ، بيروت، ١٩٨٥، ص٦–٧ .

(١٠)محمد مصطفي صفوت ، مؤتمر برلين وأثره علي البلاد العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٢.

(١١)محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة ، القاهرة، ١٩٨٧، ص٦٧.

([12])أسرة محمد علي، محفظة رقم ٦٣، دار الوثائق القومية، القاهرة. .

([13]) جون رسل Russel : (١٧٩٢– ١٨٧٨م) ولد عام ١٧٩٢م، تلقي تعليمه في جامعة أدنبرة وانتخب عضواً برلمانيًا عن تافيستوك عام ١٨١٣م ، وكان مسئولًا عن إعداد مشروع قانون الإصلاح الأول، وعرضه علي مجلس العموم البريطاني في مارس ١٨٣١م. ثم صار وزيراً للداخلية من عام

١٨٣٥ – ١٨٣٩م، ثم وزيراً للحرب والمستعمرات بين عامي |(١٨٣٩ – ١٨٤١م)، وتولي رئاسة الوزراء بعد بيل عام ١٨٤٦م، وبقي في هذا المنصب حتي عام ١٨٥٢م، ثم صار وزيراً للخارجية في وزارة بالمرستون الثانية (١٨٥٩ – ١٨٦٥م). وصار رئيسًا للوزراء إلا أنه استقال من منصبه في العام التالي. وتوفي عام ١٨٧٨م.

(انظر : Britannica Enclyclop (U.S.A - 1959) , vol. 19, PP. 679 - 680 .

(14) Wirthawein, Walter,OP.Cit,PP 13 - 14.

(١٥) يوسف حسين يوسف عمر، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية ١٨٣٩ – ١٩٠٩م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، ٢٠٠٦، ص ١٧٦.

(١٦) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م ، ص٣٣٦.

(17)Marriott,J.A.R. : England since waterLoo, London: Methuen& Co.,1913,P. 453.

(١٨) يسري خميس حسن علي أبو غالي، الدولة العثمانية وتطور الحركة الوطنية في صربيا (١٨٠٤ – ١٨٧٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة دمنهور، ٢٠١٤، ص١٣٨.

(١٩) عبد الرحمن علي خليفة، المرجع السابق، ص٢٣٥.

(20) Rose, J. Holland, The Development of the European Nations, 1870 – 1914, London: A.c. Fifield,1910,P.166.

(21) Midhat Bey, Ali Hayder, The Life of Midhat Pasha, New York: Arno press, 1973,P.289 .

(22) Stojanovic,Mihaitlo D: The Great powers and The Balkan 1875 – 1878, Cambridge: At The University Press, 1939, P. 56.

(23) Macdermott, Mercia: AHistory of Bulgaria 1393 – 1889, London: Gearge Allen & Unwin, 1962, P. 276 .

(٢٤) يسري خميس حسن علي أبوغالي، المرجع السابق، ص١٤٢.

(25) Russell, Gearge WE, William Ewart Gladstons, London: J. M. Dent, 1908. P. 242.

(26) Millman, Richard, Brichard, Britain and The Eastern Question 1875 – 1878, Oxford: Clarendon Press, PP. 135 – 136.

(٢٧) جلادستون Gladstone: وليم ايوارت (١٨٠٩ – ١٨٩٨م) : رجل دولة بريطاني وصل إلي البرلمان عام ١٨٣٢م كان من أنصار بيل، أصبح وزيرًا للتجارة (١٨٤٣ – ١٨٤٥) والمستعمرات (١٨٤٥ – ١٨٤٦م) والماليه (١٨٥٢ – ١٨٦٦م) ثم رئيسًا للوزراء (١٨٨٠ – ١٨٨٥م) وكان رئيسًا لحزب المحافظين من عام (١٨٩٢ – ١٨٩٤م). (أنظر: عبد الله محمد ناجي دوام، التنافس الدولي في البلقان(١٨٧٨ – ١٩١٤م)، رسالة دكتوراه غير منشوره – كلية الآداب – جامعة القاهرة، ٢٠١٤، ص٨٠).

(28) R.T.shannon: Gladstone and The Bulgarian Atrocities 1876, New York: Thomas Nelson and son, 1963, P.108.

(٢٩)دربي Derby: سياسي بريطاني ولد في ٢٩ مارس ١٧٩٩، دخل البرلمان في عام ١٨٢٠م، تولي رئاسة الوزراء ثلاث مرات للأعوام: (١٨٥٢م)، (١٨٥٨- ١٨٥٩م)، (١٨٦٦م)، توفي في أكتوبر ١٨٦٩م: (للتفاصيل ينظر: Encyclopedia Britannica, Vol. 9, U.S.A, 1979, P. 478).

([30]) Brendan William Larkin: The Times and The Bulgarian Massacres,Wesleyan University, 2009,P. 83.

([31]) Millman, Richard: OP. Cit, P. 129.

([32]) John Boyd Kinner, The Mind of England on The Eastern Question London, Champman and Hall, 1877,P . 4.

([33]) B. W. Larkin, Op. Cit, P. 95.

(٣٤) يسرى خميس حسن علي أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٤٣ .

(٣٥) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص١٦٤.

(36) Laffan, R.G.D, The Gurdians of The Gate, Historical Lectures on The Serbs, Oxford: At The Clarendon Press, 1918, P. 122.

(37) B. W. Larkin, op. cit, p. 97.

(38) Loc. Cite.

(٣٩) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص١٦٥ .

(٤٠) يسري خميس حسن علي أبو غالي ، المرجع السابق.، ص١٤٤ .

(41) B. W. Larkin, op. cit, p. 98.

(42) Low, Sidney – Sanders, Lioyd C. , The History of England During The Reign of Victoria. 1801- 1837, London: Longmans, Green And Co., 1907,PP 282-283.

(43) Buckle, George, Earle – mony penny, William. Flavelle, The Life of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield, London: John Murray, 1910 – 1920, Vol . 6, P.37.

(44) Edward Cook, Delane of "the Times", London : Constable Company Ltd, 1915, p. 256.

(45) R. T. Shannon, op. cit, pp. 100-110.

(46) Maurois, Andre. Disaeli, Apicture of The Victorian Age, Translated by: Hamish Miles, London: John Lane The Bodley Heat, 1930, P.276.

(47) Swart Marvin, the Politics of British Policy in the Era of Disraeli and Gladstone, New York : St. Martins Benn, 1973, p. 52.

(٤٨) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ – ١٧٤ .

(49) Pearson, HeskeTh. Dizzy, The Life and Nature of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield, London: MeThuen & Co, 1951, P. 235.

(50) Rose, J. Holland, Op. Cit, p. 169

(٥١) بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥- ١٩١٤م ؛ ترجمة : جلال يحيي، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٥٤٨.

(52) Eversley, Lord, The Turkish Empire from 1288-1914, London : T. Fischer unwin, 1923, pp. 231-322.

(٥٣) يسرى خميس حسن على أبوغالي ، المرجع السابق ، ص١٤٦ .

(٥٤) نفسه ، ص ١٤٧ .

(55) Dyer, Thomas Henery – Hassal, Arthur, Ahistory of Modern Europe from fall of Constantinople, London : George Bell 7 Sons, 1908, p. 21.

(٥٦) أتوفون بسمارك: من نبلاء ألمانيا، وصف أنه رجل ذو قبضة حديدية، وسياسي بارع مرن، كان يفهم ضرورة توحيد ألمانيا، وصل إلي السلطة في سبتمبر ١٨٦٢م، وكان عمره حينها سبعة وأربعين عامًا قضاها في خدمة آل هوهنزولرن (Hohen Zollern)، انتخب نائبًا في برلمان فرانكفورت عند قيام ثورة ١٨٤٨م بعدها عمل في سان بطرسبورج الروسية سفيرًا لروسيا، ثم انتقل إلي باريس واطلع أثنائها علي سياسة الإمبراطور نابليون الثالث، استدعاه ملك بروسيا لرئاسة مجلس الوزراء، وكلفه بحل أزمة الصدام بين الحكومة والأغلبية البرلمانية بشأن التشريعات المتعلقة بإعادة تنظيم الجيش: (انظر : أنور الرفاعي، بسمارك والاتحاد الألماني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة؛ ١٩٧٤).

(57) Marriott, A. J. R, op. cit, pp. 454-455.

(٥٨) محافظ أبحاث روسيا ، محفظة رقم ١٠٩ برقية من طلعت باشا بتاريخ ١٩ مايو ١٨٧٦م ، دار الوثائق القومية ، القاهرة .

(59)Anderson, op. cit, pp.188 -189.

(٦٠) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص١٨٤.

(٦١) عبد الرؤوف سنو المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص٩ .

(62) Marriott, op. cit, p. 455.

(٦٣) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص ١٤٩-١٥٠ .

(٦٤) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١٠ .

(65) R. Grant Branwell, th Russo – Turkish War, Philladelphia : Joghn E, Potter and Company, 1917, p. 399.

(٦٦) تشارلز بيبيلافيتش وباربارا بيبيلافيتش ، تفكيك أوروبا العثمانية ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ص ١٦٥ .

(67) Willian Miller, The Ottoman Empire, 1801 – 1913, Cambridge: At The University Press,1913, p. 363.

(68) Grant Branwell, op. cit, p. 400.

(69) Ferdinand Schevill, The History of Balkan Peninsula, New York : Harcourt, Brace and CO., 1922, P. 396.

(70) Wirtahwein, Walter, Op . Cit PP. 52 - 54.

(٧١) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(72) Morely, The life of Gladstone, Vol. P. 418.

(73) Rose, Op. Cit, P. 176.

(٧٤) الأهرام ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، ٢٦ أب (أغسطس) ١٨٧٦م ، ص١٥ .

(75) Wirtahwein, Walter, Op .Cit PP. 103 - 104.

(76) Rose, Op. Cit, P. 176.

(77) Wirthwein, Walter, op. cit, pp. 103-104.

(78) R. Grant Branwell, op. cit, p. 417

(79) Anderson, Op. Cit, PP. 188 – 189.

(٨٠) يسري خميس حسن علي أبو غالي، المرجع السابق، ص ١٦٣.

(81) Wirtahwein, Walter, Op . Cit PP. 106 - 107.

(٨٢) مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، ط١ ، مطبعة الآداب ، ١٨٩٨م ، ص١٥٣ .

(83) Millman, Richard, Op. Cit, , p. 191.

(84) Wirtahwein, Walter, Op . Cit P. 107.

(٨٥) محافظ أبحاث روسيا ، محفظة رقم ١٠٩ ، برقية من طلعت باشا بتاريخ ١١ أكتوبر ١٨٧٦م ، دار الوثائق القومية، القاهرة.

(86) Wirthwein, walter, op. cit, pp. 108-109.

(٨٧) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٦٤ .

(٨٨) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٨٩) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١١ .

(٩٠) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٩١) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٦٥ .

(٩٢) صفوت سيد أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٩٣) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص ٢١ .

(94) R. Grant Branwell, op. cit, p. 424.

(٩٥) مصطفى كامل ، المرجع السابق ، ص١٥٥ ؛ عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ص ١٣ .

(٩٦) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٧٠.

(٩٧) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص٢٠٤ .

(98) Duggan, Stephen p., Eastern Question, a study in diplomacy, New York : The Columbia University Press, 1902, p. 137.

(٩٩) محمد مصطفى صفوت ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، عبد الرحمن على خليفة ، المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

([100])عبد الرحمن علي خليفة ، المرجع السابق، ص٢٦٢– ٢٦٣.

([101])Balkan, Robert. Disraeli, London : Eyre & Spott isWorde, 1933, P. 637.

([102]) اندريه موروا : حياة دزرائيلي، ترجمة : حسن محمود، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

(١٠٣ عبد الرحمن علي خليفة، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

(١٠٤) صفوت سيد أحمد حسين، المرجع السابق، ص٩٣.

(١٠٥) نفسه، ص ٩٤.

(١٠٦) محافظ أبحاث روسيا، محفظة رقم (١١٢)، برقية من طلعت باشا بتاريخ، فبراير ١٨٧٨م، دار الوثائق القومية، القاهرة.

(١٠٧) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص٢٥٨.

(١٠٨) عبد الرؤوف سنو ، المرجو السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١٦ .

(109) Marriott, op. cit, pp. 458-459.

(١١٠) تشارلز بييلافيتش وباربارا بييلافيتش ، المرجع السابق ، ص١٧٥.

(١١١) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص١٧ .

(112) Ferdinand Schevill, op. cit, pp. 402-404.

(١١٣) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(١١٤) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة، ص ١٨ .

(١١٥) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(١١٦) عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، الحلقة الرابعة ، ص ١٣ .

(١١٧) يسرى خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٨٠ .

(١١٨) يوسف حسين يوسف عمر ، المرجع السابق ، ص٢٧٧.

(١١٩) محمد مصطفى صفوت ، المرجع السابق ، ص٤٥ .

(١٢٠) نفسه ، ص ٥٢ .

(١٢١) يسري خميس حسن على أبو غالي ، المرجع السابق ، ص١٨٣ .